

الدرس الثاني عشر تاريخ التشريع الإسلامي

❖ للإنسان العادي أن يتبع أياً من أهل الذكر شاء من أمثال الأئمة الأربعة والإمام النووي والأوزاعي وربيعة بن عبد الرحمن ونافع مولى عبد الله بن عمر ولا يستطيع الإنسان إتباع إلا من دونت أرائه وحفظت وسجلت والشرط الوحيد في الإتياع أن نتأكد من أن هذا الكلام قد قاله فعلاً الإمام المراد إتياعه.

❖ الذين يقولون لن نتبع فلاناً من الأئمة لأنه أخطأ في عدة مسائل كلام غير مقبول لأن الله تعالى عندما أمرنا بإتياع أهل الذكر علم أنهم سيخطئون ومعرضون لذلك ومع هذا أمرنا بإتياعهم.

❖ ليس للعامة الخوض في الفقه المقارن وترجيح الأقوال إن لا قدرة له على ذلك بل ستضعه في متاهات وتعقيدات، أما المتخصص الذي وصل في المسألة التي يريد الترجيح فيها إلى مستوى الإمامين فله ذلك إن كان تحقيقه هذا سينتهي به إلى اجتهاد يتبعه.

❖ من أدلة الإمام الشافعي في موضوع لمس المرأة ما يرويه عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (السلسلة الذهبية) [أن **جس** الرجل امرأته وقبلته إياها من المس فمن **جس** امرأته أو قبلها فليتوضأ] والمقلد لا فرق عنده ما دام لا يملك القدرة على التفكير في هذا وكل ما **نستعين** فيه هو السمعة الجيدة وإبراز العضلات العلمية والمناقشات في دروس العوام الذين لا يستطيعون أن يتذوقوه ويحفظوه يقولون لقد قال الشيخ كلام معقول واستدل على هذا أسألهم ماذا قال وبماذا استدل يسكتون ولا يجيبون.

الإمام مالك

ولد على أصح الأقوال سنة 93 هجرية وتوفي 179 هجرية وبهذا نجد انه قد عاصر الخلافة الأموية والعباسية.

ولد في المدينة المنورة من أسرة أصلها يماني من قبيلة اسمها (أصبح) وأسرته أسرة علم والده أنس عالم وجه مالك بن عمر الأصبحي كان محدث سمع الحديث من أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله والزبير والكثير من الصحابة.

والإمام مالك بعكس الأئمة فقد استقى من المدينة المنورة بعكس غيره من العلماء الذين ارتحلوا في طلب العلم والسبب أن العلماء من جميع أصقاع العالم الإسلامي كانوا يرتحلون إلى المدينة المنورة فكان في المدينة يرى الجميع وخصوصاً في موسم الحج.

وبهذا اطلع الإمام نالك على عادات الناس والظروف والأماكن المختلفة وبالتالي اتسعت آفاقه الفقهية واتسعت مداركه الاجتهادية وأقام للمصلحة التي هي أساس الشريعة الإسلامية ميزان دقيق.

❖ حفظ الإمام مالك القرآن وهو طفل شأنه شأن كل الأطفال الذين سلكوا هذا المسلك، وهنالك مبالغات في السن التي حفظ بها، وكانت والدته ندفعه إلى العلم دفعاً وفي البداية كان يأخذ من الكل ولما اشتد عوده واتسعت معرفته يقول الإمام مالك عن نفسه (لزم عبد الرحمن بن هرمز /من علماء المدينة/ سبع سنوات) لم يكن يختلف منه إلى غيره، ويقول (اتخذت لنفسني خشبة وكنت أذهب أجلس على صخرة بباب ابن هرمز) لم يكن يدق الباب عليه خشية أن يجرحه ولكن كان يضع الخشبة على الصخرة وينتظره حتى يخرج فيتبعه إلى المسجد ويأخذ منه، وبعد سبع سنوات بدأ يأخذ عن نافع (مولى عبد

الله بن عمر) وهو من أحفظ علماء الحديث وهو راوي وحدث وفقهه ولازمه ويقول الإمام عن نفسه (كنت أخرج وقت الظهيرة وليس للأشياء ظل أتبع درس ابن أبي شهاب الزهري).

مثال: قال أنه في يوم نيفاً وأربعين حديثاً ثم أتى في اليوم التالي فقال: لو اتخذتم ورقاً لتكتبوا ما أحدثكم خيفة أن تنسوه وإلا فأين الذي حدثتكم به البارحة، فقال قائل منهم ينبئك عن هذا الشاب الأشقر، يقول فسألني حديثه منها أربعين حديثاً بأسانيداً فقال له: والله ظننت أن لا يحصيها أحداً غيري. ومن أسانيدته ربيعة بن عبد الرحمن ومن أئمة الفقه ولقب ربيعة الرأي لأنه على الرغم من وجوده في المدينة ومن مدرسة الحجاز إلا أنه كان يتجاوز دائرة النصوص إذا كثرت المسائل.

❖ جلس الإمام مالك يروي الحديث ويفتي كما قيل في بعض الروايات وعمره لا يتجاوز سبعة عشرة سنة، وهذا غلو في التعصب والتعصب أحياناً أضر لسمعة الرجل فيروى عنه مالا يتقبله عقل، يقول الإمام مالك لم أجلس للفتيا حتى أمرني بذلك قرابة سبعين عالماً ومن أسباب التوسع في ترجمة الأئمة معرفة من هم أولى بالإتباع.

❖ كان الإمام مالك إذا جلس للتحديث والرواية كان يبجل الحديث كثيراً:
أمثلة:

1- روي أن رجلاً سأله هل اخذ من عمر ابن دينار شيئاً من حديثه قال: لا لأنني ذهبت يوماً إلى مجلسه فشاهدته يحدث والناس م حوله يكتبون وهم واقفون فلم أحب أن أكتب حديث رسول الله وأنا قائم فرأيت أن فيه منقصة للحديث.

2- ويقول تلميذه (المطرق) أنه من عاداته إذا جاءه أناس يطلبون العلم خرجت الجارية وسألتهم للحديث أم للفتوى فإذا قالوا للحديث ذهب فاغتسل ولبس الأبيض من ثيابه وتطهر ثم يخرج إليهم فيحدثهم.

❖ من حياته الاجتماعية: كان في بداية حياته فقيراً وكان له أخ يشتغل بالتجارة وكلما تجمع معه مال أعطاه لأخوه وأصبح بعد ذلك تاجراً في البذور وبعد أن أكرمه الله كان يحب أن يظهر أثر النعمة عليه في ملبسه ومطعمه ومسكنه، وكانوا يصفون داره بأن فيها كل أسباب الراحة والنظافة وهو القائل في الأثر المشهور (ما أحب لمرء أنعم الله عليه ألا يري أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم) ولم يكن هذا حب للمال بل كان ينفق معظمه.

وكان أبو حنيفة يقول (إن الذي يظهر بمظهر الفقر لسان حاله يقول تصدقوا علي فأنا فقير).

وكان الإمام مالك عظيم الوقار والجديّة مع العلم أنه كان يحب الفكاهة ولا يجب الفقه الافتراضي ولطالما ردد كلمة (لا أدري).

جاءه رجل من المغرب بمسيرة 6 أشهر فقال له لا أدري، هذا الرجل هو الذي يوثق بدينه.